وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح –ورقلة–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مشروع مذكرة ماستر بعنوان:

التمرد في شعر صعاليك العصر الأموي مالك بن الريب عينة

مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين:

- بن سبقاق مونة
- التجاني سعاد

إشراف الأستاذ(ة) :

** عبد الرحمان عبان **

السنة الجامعية: 1442هـ-1443 هـ/ 2020-2021

الحمد لله الذي تتم به الصالحات

إلى والدينا إخوتنا وأخواتنا وأبنائهم

و

كل من ساعدنا وكان معنا من قريب أو بعيد

حتى بالكلمة الطيبة.

بن سبقاق مونة + التجاني سعاد

فهرس الموضوعات

جدول المحتويات

فهرس الموضوعات 3

مقدمة ..... أ

المـدخل 4

الفصل الأول 7

حياته وشعره 8

مفهوم الصعلكة وتصنيفات الصعاليك 11

مفهوم الصعلكة 12

تصنيفات الصعاليك 13

آثار الصعلكة وتبعاتها على مالك بن الريب 14

الفصل الثاني 17

مفهوم التمرد 18

أسباب التمرد وأنواعه 19

تجليات التمرد في شعر مالك 20

الحقول الدلالية وانعكاساتها على واقع الشعر 27

السمات المميزة لشعر مالك 31

الخاتمة 34

قائمة المصادر والمراجع 36

الملخص ..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**

المقدمة

المقدمة :

الحمد لله ربي العالمين و به نستعين ونسأله التوفيق والسداد والتمكين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى صحبه ومن تبعه الى يوم الدين أما بعد...

إن الحياة في العصور القديمة كانت لها مؤثرات وتأثيرات على الشعر والشعراء في حياتهم وبكل نواحيها وبكل تفاعلاتها وتمخضاتها.

حبهم وكرههم آمالهم وآلامهم رضاهم وسخطهم وكل نَزعاتهم ونِزَاعاتهم ، فالبيئة بصحاريها وقفارها ،بسهولها و جبالها بنسماتها ورياحها هي من ترسم لوحاتهم وتبعثر كلماتهم وتزحزح أفكارهم وأمهات أفكارهم ،فتنسج خيوط أشعارهم وتحيك سجاجيد أحاسيسهم وجميع أجناس أقوالهم.

و الصعاليك في أي زمن كانوا هم جزء من هذه الحياة وبعض من هذه البيئة ، يتفاعلون معها وينفعلون بها يكرون تارات ويفرون تارات يراوغون و يلاعبون .

إن الصعاليك بحكم عروبتهم و انتمائهم العربي وأصولهم الممتدة والراسخة في العرب أبت ألسنتهم إلا أن تقول شعرا، ليس أي شعر بل شعرا يضاهي أشعار فحول الشعراء و أجودهم والدافع الرئيسي لهذا البحث هو:

هو البحث في التراث العربي القديم ومحاولة إزالة الغبار عن أدبه وفنونه التي كادت تنساها الأجيال الحديثة المعاصرة و إعادة تسليط الضوء على بعض شعرائه و رواده و إعادة الاعتبار لهم و التعريف بمدى تأثير المؤثرات المحيطة بالإنسان على أفعاله وأقواله و جودة سبكه،ودافع خاص تمثل في رغبتنا الخوض في شعر الصعاليك لما فيه من متعة وجذب واخترنا مالك بن الريب التميمي عينةً .

والمشكلات التي واجهتنا عدم قدرتنا على التنسيق مع بعضنا وبالأخص مع المشرف نظرا للظروف الصحية التي اجتاحت العالم كله وهو انتشار فيروس كوفيد -19.

إشكالية البحث:

الرئيسية: أين تكمن نزعة التمرد في شعر مالك بن الريب؟ وما مدى تأثير الصعلكة في توجهاته وعلى ردّات أفعاله؟

الفرعية:

– ما هي دوافع مالك الداخلية والخارجية لأفعاله وتصدياته وتمرده ؟

_ ما هي نتائجها على حياته ونفسيته ومجتمعه؟ وكذا أثرها في أشعاره ؟

وكانت انطلاقتنا من فرضيات علم النفس وعلم الاجتماع ، ما هي الدوافع النفسية و المجتمعاتية المؤدية لظهور هذه النزعة .

وقد كانت هناك دراسات سابقة لهذا الموضوع منها : نزعة التمرد في شعر الشنفرة حمداوي محمد الصادق مذكرة لنيل شهادة الماستر 2018 _جامع قاصدي مرباح ورقلة_

واعتمدنا في موضوعنا هذا على مراجع منها :

–شعر الصعاليك منهجه وخصائصه – د– عبد الحليم حفني.

–ديوان شعر الصعاليك –شرح يوسف سكري فرحان .

–الصعاليك في العصر الجاهلي –مروة محمد رضا ،

–في نظرية الأدب من قضايا السعر والنثر في النقد العربي – مواقي عثمان .

–الصعاليك في العصر الأموي أخبارهم وأشعارهم –محمد رضا مروة.

–ديوان مالك بن الريب حياته وشعره –د– نوري حمودي القيسي.

وقد تضمن هذا البحث مدخلا وفصلين وخاتمة على النحو التالي :

1 -المدخل: وقمنا فيه بتسليط الضوء على الصعاليك بصفة عامة و على مميزات اشعارهم .

2 -الفصل الأول: بعنوان : مالك بن الريب والصعلكة.

تناولنا فيه مبحث عنوانه : حياته و شعره .ومبحث ثاني عنوانه: الصعلكة له عنوانين رئيسيين:

- ✓ مفهوم الصعلكة وتصنيفات الشعراء .
- ✓ اثارها وتبعاتها على مالك .

3 -الفصل الثاني : التمرد وتجلياته في شعر مالك ،تعرضنا فيه لمبحث عنوانه: مفهوم التمرد اسبابه وانواعه. وآخر بعنوان تجليات التمرد في شعر مالك ، ومبحث ثالث : تجليات التمرد في شعره ، ورابعا تناولنا فيه الحقول الدلالية التي وظفها الشاعر ، اخيرا السمات المميزة لشعره .

4 -الخاتمة: تناولنا فيها ابرز النتائج التي خلصنا اليها .

اما عن المنهج فقد اعتمدنا المنهج اخترنا المنهج التحليلي الوصفي منهج التذوق فالدراسات الحديثة والتي يكون فيها الوصف والشرح اللغوي والتذوق الفني وتجمع بينها للإبانة على موضوع من الموضوعات الشعرية والأدبية أو قضيه من القضايا.

لان التحليل والوصف لشرح الموضوع وإبانة خباياه والوقوف عند كل صوره من صوره لكن لما نقف أمام عاطفة الشاعر ودوافعه النفسية والاجتماعية فهنا يلزمنا الاستعانة بالمنهج النفسي والاجتماعي.

التجاني سعاد و بن سبقاق مونة

ورقلة في : 03 جوان 2021

المـــدخل

المدخل:

ملمح عن حياة الصعاليك وميزات شعرهم :

أن الصعاليك كانوا يرون في جوعهم عزة يحرصون عليها، وهو ما كان عند جميعهم وقد بدا بارزا عند الشنفرة و غيره.

بيد أن مالك بن الريب الإسلامي نجده على عكس مثيله ونجده يقول للأمير الذي قال له فإن أغنيتك فهل تكف عما أنت فيه يقول له مالك" نعم اكف كأحسن ما يكف احد"

يبدو أن مالك غير معتز بالصعلكة وغير متمسك بها.

والمتطلع على شعر الصعاليك يجد أن اغلبه جاء على شكل شعر المقطوعات هذا لان حياتهم قامت على التشرد و المطاردة، ولم تتهيأ لهم الفرصة الكافية لمراجعته وهو ذات الحال مع مالك ، فلم يتسنى له لا الزمان ولا المكان لتنقيحه حتى يأتي سليما سويا .

فابتعد عن المألوف في شعر العرب، و لانهم لم ينشدوه في المحافل والمجالس حيث الخلفاء والوزراء وقادت القوم وكبار النقاد والعلماء وإنما انشدوه بعيدا عن هذه الأجواء، فوق الجبال و في بطون الوديان وفي أعماق القفار، ولم يبغوا من ورائه المكافآت والصلات."[1]

و مالك لم يعش بمنء عن هذه القفار والوديان والصحاري والوحوش ولم تكن حياته حياة سلم وأمن ورخاء فهو من المطاردين المتشردين الذين لم تبسط عليهم الحياة رغيد عيشها وهناء أيامها، كما لم يكن من المحابين للحكام وحاشيتهم فتكن أشعاره في المجالس والمحافل صادحة فناسب شعره شعر المقطوعات التي تعكس صورة حياته المتقطعة والمجزأة من مكان لمكان الغير متصلة بمكان واحد كالمقطوعات المتفرقة أجزاء.

يمكننا الخلوص أن شعر مالك – شعر الصعاليك –يتجلى التمرد فيه في كونه ابتعد عن الأغراض المألوفة المدح والهجاء وانحصر في إعلان تمردهم و التعبير عنه دون السعي للمبالغة في تنميقه وتنقيحه لينال مكانة في المجالس وبين الجالسين من كبار القوم.

---

[1] الصعاليك في العصر الأموي أخبارهم وأشعارهم ، محمد رضا مروة ، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ،ط1، 1990 ، ص 135.

فالبيئة التي كانوا يعيشون فيها لم توفر لهم الاستقرار اللازم حتى ينشدوا الطوال من الأشعار كغيرهم من الشعراء.

إن مقطوعاتهم الشعرية تتمثل فيها الوحدة الموضوعية فهي متماسكة متلاحمة ربما يعود ذلك كونها جاءت كخواطر.

وتتصف العبارات في شعره بالسهولة والابتعاد عن الغريب من القول

وازدحامها بأسماء الأماكن الصحراوية،وهو ماجعله مادة جغرافية "وكان شعره مادة للجغرافيين العرب وخاصة البكري وياقوت، اعتمدوا المواضع التي ذكرها"[1] .

إن تجليات الصعلكة في شعر مالك قد برزت في حديثه عن غضبه وتمرده أيضا قد تجلت في هجاءه وتهديده للعمال والولاة التابعين للسلطة حينها وفي وصفه التشرد التي كابده وعايشه ، وتمرغه في القفار واغبراره فيها وحنينه لأهله وديارة والتنعم فيها ،كذلك تجلت في حديثه عن قوته وبأسه وقلة خوفه وعن فروسيته وشجاعته وقدرته على مجابهة خصومه.

إن ما قام به مالك من عصيان ومعارضة – وتصعلك – لم يكن لحاجة في نفسه ولا رغبة منه في الافتخار بقوته ولا للاعتزاز بذاته وإنما كان رفضا لظلم استفحل في المجتمع ولولاة أذلوا رعيتهم ولم يرعوا الله فيها فأهانوها وجاروا عليها.

فاتخذت ثورته صورة الغارات المنظمة على القوافل فيغتصبون منها كل ما تملك[2].

"ومع انهم كانوا يتجرعون حياتهم غصصا مريرا، وكان غيرهم يتمتع بملذات الحياة ،فإنهم لم يكونوا ناقمين على الناس ولا حاقدين ولا حاسدين لهم ، وإنما كانوا ينتقدون المفاسد التي سببت هذا التناقض الذي يعيشون فيه ويكابدون آثاره"[3]

---

[1] ديوان مالك بن الريب ، تحقيق د/ نوري حمردي القيسي ، ص67.

[2] الصعاليك في العصر الأموي أخبارهم وأشعارهم ، محمد رضا مروة ، دار الكتب العلمية،بيروت لبنان ،ط1، 1990، ص139.

[3] الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول ، حسين عطوان ، دار الجيل بيروت ،ط4، 1997،،ص 93.

الفصل الأول:

مالك بن الريب و الصعلكة

1- حياته وشعره

2- الصعلكة

2-1- مفهوم الصعلكة وتصنيفات الشعراء الصعاليك

2-2- أثرها وتبعتها على الشاعر

حياته وشعره :

مالك بن الريب بن حوط بن قرط بن حسل بن ربيعة بن كابية بن حرقوص بن مازن بن عمرو بن تميم

وكنيته أبو عقبة، وأمه شهلة بنت سنيح بن الحر بن ربيعة بن كابية بن حرقوص بن مازن[1] ولد في 21 ه بنجد الجزيرة العربية وتوفي 57 ه.

نشأ مالك في بادية بن تميم بالبصرة ،وتجمع المصادر القديمة على أنه كان فاتكا لصا يصيب الطريق مع شظاظ الضبي الذي يضرب به المثل فيقال :ألص من شظاظ، ويذكر المرزباني أنه كان ظريفا أديبا فاتكا أصاب الطريق مدة ثم نسك، فآمنه بشر بن مروان وعده بن حبيب من فتاك الإسلام.

تجمع المصادر التي ترجمت له على أنه كان من أجمل العرب جمالا وأبينهم بيانا، وأحسنهم ثيابا[2]، ولد في عهد عمر بن الخطاب في قرية عنيزة بالقصيم، وعايش أقسى الفترات التي مرت بالتاريخ الإسلامي وهي فترة معاوية بن أبي سفيان فكان يرى استئثار الأمويين وأتباعهم بالأموال وعيشهم حياة الترف والبذخ في حين كان يقبع الشعب تحت وطأة الجوع والفقر والفاقة والذل وقمع الحريات[3].

أما الجوانب الأخرى من حياته فقد حدد بعض معالمها شعره فهو صاحب حرب لا يكلف بغيرها ،وهو لايثني حفيظته في الوغى، ولا يتقي في السلم جر الجرائم ولا يوأنى في العواقب وإنما هو رجل يقدم على غمرات الموت، ولا يهاب تفاقم الحوادث ،وقد تمثلت هذه الصفات بارزة واضحة في حادثة رواها أبو الفرج وقد جرت لمالك وهو مع سعيد بن عثمان إلى خرسان حتى إذا كانوا في بعض مسيرتهم احتاجوا إلى لبن فطلبوا صاحب إبلهم فلم يجدوه، فقال مالك لغلام من غلمان سعيد: أدن مني فلانة ،لناقة كانت لسعيد عزيزة ،فأدناها منه، فمسدها وأبس بها حتى درت ثم حلبها، فإذا أحسن حلب حلبه الناس وأغزره فانطلق الغلام

[1] – ديوان مالك بن ريب، حياته وشعره، تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي، ص53.

[2] – المرجع نفسه، ص 54.

[3] – مالك بن الريب " ضحية الطغيان الأموي" مقالة كتبت بقلم الكاتب: محمد الطاهر الصغار شبكة الندى المعلوماتية بتاريخ: 2017/06/06 الوقت : 10:15 .

إلى سعيد فأخبره، فقال سعيد لمالك: هل لك أن تقوم بأمر إبلي فتكون فيها، وأجزل لك الرزق إلى ما أرزقك، وأضع عنك الغرور فقال مالك في ذلك :

إني لأستحي الفوارس أن أرى بأرض المد بؤ المخاض الروائم

فلما سمع ذلك منه سعيد بن عثمان علم أنه ليس بصاحب إبل وأنه صاحب حرب فانطلق به معه[1].

أما صلابته.و شدته فقد عرفناها في أخباره التي روتها لنا الكتب فهو فتاك مشهور ولص امتهن الحرفة وعرف مسالكها، وخبر طرائقها ودروبها، فقد تنامت في نفسه روح التمرد والخروج ،حتى أصبحت قيادته أمرا شاقا ،وقد أفصح عن هذه النفس المتمردة في يائيته المشهورة فقال :

وَلَا تَحْسُدَانِّي بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا مِنَ الْأَرْضِ ذَاتُ الْعَرْضِ أَنَّ تَوَسُّعًا لِيَا

خُذَانِي فَجُرَّانِي بِبُرْدَى إِلَيْكُمَا فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صَعْبًا قِيـــــَادِيا [2]

نلاحظ أن الشاعر في هذه الأبيات يطلب من رفاقه أن يوسعا له في قبره ولا يبخلوا عليه لأن أرض الله واسعة وأن يجراه إلى القبر بعدما كان ينعطف على الأعداء إذا تقهقرت الخيل ويسرع إلى نجدة من يدعوه هذه صفات الشجاعة والقوة التي نجدها عند الشاعر .كما نجد أن الشاعر كان معارضا لسياسة بنو أمية لأنه بلغت بشاعة الوالي الأموي من قبل معاوية المنذر بن الزبير القرشي ووزيره ومساعده (مسلم الباهلي) في سياستهما الظالمة أن زرعا القهر والجوت والإرهاب وأوغلا في سفك الدماء وعاثا فسادا في الأرض واستأثرا بيت المال فأثقل ذلك على المسلمين فأنتشر الفقر والجوت وتفشى الإرهاب في قرى القصيم [3] في هذا الجو السائد عليه الظلم والاستبداد والجور والتسلط ثار على السلطة وأذنابها .في ظل هذه الثورة التي أعلنها مالك صدر قرار بالقبض عليه ،فقبض والي مكة على مالك وحبسه وعذبه عذابا شديدا وفي ذلك يقول مالك :

أتلحق بالريب الرفاق ومالك بمكة في سجن يعيه راقبه .

[1] – ديوان مالك بن الريب، حياته وشعره، المرجع السابق، ص 55.

[2] – المرجع نفسه، ص 56.

[3] – مالك بن الريب " ضحية الطغيان الأموي" مقالة كتبت بقلم الكاتب: محمد الطاهر الصغار شبكة الندى المعلوماتية بتاريخ: 2017/06/06 الوقت : 10:15 .

وبقي في السجن مدة طويلة حتى استشفع له شماس بن عقبة المازني عند والي مكة فأطلق صراحه[1] .

لقد عالج مالك بن الريب موضوعات عديدة متنوعة يغلب عليها الطابع المميز لحياته، التي استوطنت الحارى، واستقرت في الشعاب المقفرة، إن هذه الحياة جعلته يرتبط ارتباطا وثيقا بالموصوفات، اعتاد رؤيتها وألف مصاحبتها، والصور التي كان فوقها بكل رحابة وجلد، وتحدث عن المواضع التي يسر بها، أو يقف عندها أو يسافر فوقها، وتحدث عن الذئب والأسد وصور الإبل والوحوش، وأشار إلى المهامة والرمال والرياح والظلام[2].

لقدر وصف مالك من خلال شعره الجوانب البارزة التي تميزه ، من ثبات في المعركة إذا أدبرت الخيل، واستجابة للداعية إذا عز النصير وإطعام اذا أصبح الطعام محمودا، وعفة عن شتم ابن العم، حيث يقول

وَقَدْ كُنْتُ عِطَافًا إِذَا الْخَيْلَةِ أَدَبَّرَتْ سَرِيعًا لدى الْهَيْجَا إِلَى مِنْ دعانيا

فَقَد كُنْتُ صَبَّارًا عَلَى الْقَرْنِ فِي الْوَغَى وَعَنْ شَتْمِيِّ اِبْنِ الْعَمِّ وَالْجَارِ وَانِيًا

فَطَوْرَا تَرَانِي فِي غِلَالٍ وَنَعَمَةٍ وَطَوْرًا تَرَانِي وَالْعِنَاقَ رِكَابيا [3]

هنا الشاعر نجده مادحا لنفسه من إغاثة الملهوف ومساعدة الضعيف وقوته وشجاعته وبسلاته في الحروب. أما فيما يخص وفاة مالك فلم يعرف السبب لذلك فقد تعددت الروايات حول وفاته منهم من يقول أنه قتل وآخر يقول أن أفعى لدغته فأودت بحياته .

إن الحياة القبلية والتي كانت تحكمها تقاليد المجتمع القبلي العربي كان لها حكم قوي على هذا المجتمع ، حكم جائر و غير عادل للثروات و الأموال، وهو ما ترك الأثر الواضح والبليغ في المجتمع العربي حينها، وقسّمه طبقات و مستويات وهو ذات الحال حدث مع الصعاليك فقد قسّمتهم أعراف القبيلة و احتكاماتها إلى طبقات و تصنيفات، طبقه الشواذ و الخلعاء وهم من تخلت عنهم و تبرأت منهم قبائلهم إما لما جرّوه من الجرائر عليها

[1] – مالك بن الريب ضحية الطغيان الأموي، المرجع السابق من نفس المجلة.

[2] – المرجع نفسه، من نفس المجلة.

[3] – ديوان مالك بن الريب، حياته وشعره، المرجع السابق، ص 93

وإما لفساد سلوكهم فيها ومن أشهرهم حاجز الازدي [1]، وقيس بن الحدادوية، و أبو الطمحان القيني[2].

طبقة الأغربة السود الذين سار السواد إليهم من أمهاتهم الحبشيات، و الذين لم تكن تساوي العرب بينهم وبين أبنائها الأصلاء ممن ورثوا عروبة الأصل من أبائهم و نقاء الدم في عروقهم من نقاء دم أبائهم أمهاتهم ومن اذكرهم و أشهرهم السليك بن السلكة وتأبط شرًا والشنفرة[3].

و طبقه ثالثة طبقة الفقراء الذين كانوا يحيون حياة شاقة قاسية حياة لم يجدوا معين لهم عليها، ولا على أعباء العيش فيها ولا على كسب ارزقاهم، وقد كان منهم و أخطرهم عروة بن الورد العبسي و صعاليك قبيلتي هذيل التي كانت تقيم بالقرب من مكة، و فهم التي كانت تسكن بالقرب من الطائف[4] .

مفهوم الصعلكة وتصنيفات الصعاليك:

لغة من مادة صعلك فلانا، افقره، والصعلوك الفقير الذي لا مال له[5]، ويقال تصعلكت الإبل: طرحت اوبارها وانجردت[6].

إن اللغويين اهتموا بشرح لفظ الصعلكة في غير مادتها أما في ما دهتها نفسها فقد اهتموا بأصلها وهو الفقر، وقصروا في البيان الصرفي، وهو السلوك العدواني المستمر في صوّره المختلفة، وقد ربط العرب حين الجاهلية والإسلام مدلول الصعلكة والصعاليك بمدلول غير الفقر وهو أنها حالة– فئة– خاصة تتميز بطابع شعاره الاعتداد بالنفس دون الأهل و القبيلة، و وسيلته العدوان و الاعتداء كقطع الطريق، و السطو والغزو كلما سمحت الفرصة وكلما كان لذلك سبيل، وهم اعتمدوا الفتك والتلصص والإغارة ليحققوا مساعيهم

[1] – الأغاني أبو فرج الأصفهاني، تح إحسان عباس، ط1، دار صادر بيروت ، 2002 ، ج13 ، ص 209.

[2] – الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق أحمد شاكر دار المعارف مصر، 1966، ص.388

3– الصعاليك في العصر الأموي أخبارهم و أشعارهم ، محمد رضا مروة ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ص8.

4– الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، حسين عطوان، دار الجيل بيروت، ط4، 1997 ، ص56.

5– بن منظور، لسان العرب ،دار صادر بيروت ،2004 ، مادة صعلك.

6– المصدر نفسه.

وغاياتهم كلّها من ذلك، الثروة والغنى والحصول على المال في اغلب الأوقات و الأزمنة، أو لتحقيق مآرب خاصة أخرى.

وقد ورد لفظ الصعلكة في شعرهم فهاهو عروة بن الورد يقارن بين نوعين من الصعاليك؛ الصعلوك الفقير الراضي لنفسه عيشة الخمول والمسكنة، مهينا نفسه بالذل وبالحاجة إلى الناس، والصعلوك المتحرك المتحفز الذي يضع نفسه فوق الناس فارضا رهبته كاسد، فنجد عروه يلوم النوع الأول أشد اللوم، راضيا عن النوع الثاني، فيقول عن

النوع الأول:

لحن الله صعلوك إذ جني ليله م_____ضى ألفا كــلّ مجزر

بعد الغنى من دهره كل ليله أصاب وراءها من صديق ميسر

قليل التماس المال إلا لنفسه إذا هو أضحى العريش المجور

ينام عشاء ثم يصبح قاعدا يحث الحصى عن جنبه المتغفر

ويقول عن النوع الثاني:

والله صعلوك صفيحة وجهه كضوء شهاب القابس المتنور

مطلٌ على أعدائه بزجروته بساحتهم زجر المنيح المشهر

وإن بعدوا ألا يأمنون اقترابه بشوق أهل الغائب المتنظر

فذلك أن يلقى المنية يلقها حميدا، وان يستغن يوما فأجدر [1]

وهو هنا استعمل لفظة الصعلوك للدلالة على الفقير المجرد من المال، وفي الثانية للدلالة على الشخص المتحفز للسطو العدواني وذلك في قصيده واحدة.

مفهوم الصعلكة :

وقد ذهب العرب إلى أن كلمة صعلوك تصف وتدل على متلصص (لصوص العرب) أو ذئبان العرب، الذئب تساوي كلمة لص و تساوي تماما الوصف بكلمة صعلوك من حيث الاستعمال العربي للفظه ذاتها بغض النظر عن الأصل اللغوي لها، و الصعلكة هي الغزو و الإغارة لغرض السلب، وقد يغدو التعريف ناقصا مخلا لأنه لا يشمل معنى اللصوصية والفتك وقطع الطريق .

[1]– شعر الصعاليك منهجه وخصائصه،عبد الحليم حفني،الهيئة البشرية العامة للكتاب،1987، ص 30.

يرى الدكتور يوسف خليف أن الصعلكة قد يخرج مفهومها أحيانا عن أصل معناها اللغوي فهذا عمرو بن براقة الهمذاني يغير على إبله وخيله رجل من مراد فيذهب بها فيأتي عمرو إلى إحدى كاهنات العرب يستشيرها ثم يغير على المرادي فيستاق كلّ شيء له فمن الواضح أن جو القصة يدل على أن الصعاليك هنا هم الفقراء المعدومين.

أو الذين يستجدون الناس ما يسدون به رمقهم، وإنما هم أولئك المشاغبون المغيرون أبناء الليل الذين يسهرون لياليهم في النهب و السلب و الإغارة بينما ينعم المترفون المسالمون بالنوم و الراحة والهدوء فالكلمة إذن قد خرجت من الدائرة اللغوية دائرة الفقر إلى دائرة أخرى أوسع منها هي دائرة الغزو والإغارة للنهب والسلب[1].

والصعلكة ظاهرة اجتماعية إنسانية لها مفعِلاتها " ما يلفت الانتباه حقا هو أن هؤلاء الشعراء الصعاليك جمعوا الى السيف والقلم ، التشرد في الفيافي والقفار ، وعبروا عن ذلك كله في شعر ينم عن قدرة فنية ، ورؤية اجتماعية نقدية، قد لا نجدها عند غيرهم من الشعراء الذين عاصروهم."[2]

تصنيفات الصعاليك :

إن الفقر قد كان هو القاسم المشترك بين أصناف الصعاليك،الذين تميزوا بالعفة و الكبرياء، والقوة والبأس، إضافة لاحترافهم وامتهانهم النهب والسلب، غير أن تماسك القبيلة ونقاء روحهم بقي صوته مجلجلا بدواخلهم في تصرفاتهم فبرز فيهم حركاتهم وسكناتهم .

عدا أن طائفة أخرى منهم وهي طائفة السياسيين كان مرماهم و مغزاهم هدم أركان الدولة والقضاء على خلفائها، ثم بعد ذلك أقامه دولة الصعاليك التي أساسها العدل و المساواة وبذلك نجد أن البيئة الأموية المضطربة قد أنتجت ثلاثة طوائف وهي:

طائفة الصعاليك الفقراءِ :

[1] – في تاريخ الأدب العربي القديم، الدكتور محمد أبو ربيع، دار فكر للنشر والتوزيع ، ص 43.

[2]– الصعاليك بين الذات وقهر المجتمع(د– نفسية اجتماعية)،د–عريب عيد،مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات،المجلد الثامن عشر،العدد2008.

إن التقسيم غير العادل للثروات بين القبائل في المدن والقرى أدى إلى نشوء هذه الطائفة المعدمة الفقيرة والتي عاشت على الكفاف والشقاء فاللاتوازن الاجتماعي دفع البعض من هؤلاء إلى امتهان واحتراف الغزو للاسترزاق وكسب القوت اليومي.

طائفة الصعاليك الجناة والخلعاء:

هم الهاربين من العدالة الذين تخلت عنهم قبائلهم بعد جناية قاموا بها وبذلك وجودهم في قبائلهم شرا لا تتحمله ، فخلعتهم وتبرأت منهم ، فلا تتحمل جرائمهم ولا تطالب بحقوقهم فكان خلعهم خلعًا تاما من القبيلة أمثال: الخطيم العكلي ،ومسعود بن خرشة التميمي.[1]

طائفة الصعاليك السياسيينِ :

إن هذه الطائفة عملت على تقويض حكم الدولة لأنه كلما اشتدت الأزمات الاقتصادية زادت من الهوة بين الأغنياء والفقراء اشتد الجور والبغي والظلم معها، فكان هؤلاء الصعاليك من قبائل تناقض السياسة الأموية و تخالف أمورهم و أوامرهم[2].
وبذلك تكون هذه الطائفة وطائفة الجناة من الطوائف أو الطبقات المستجدة .

آثار الصعلكة وتبعاتها على مالك بن الريب :

إن الإنسان يتأثر ببيئته كما يؤثر فيها فالظروف المحيطة به والأوضاع التي يتقلب فيها والتقاليد التي تحكمها وتحكمه قد يكون له الأثر البالغ على مبوحاته ونثراته وكلّ عباراته.

فالحياة الاقتصادية والتي لم تكن مستقرة بسبب حاجه الخلفاء للمال أو بسبب إغارة بعض الخارجين على أموال الدولة، أو أيضا بسبب جبروة وقسوة موظفي الدولة على الرعية، كما قد نجده يتخبط بين ثنايا حياة اجتماعية، حياة لم تنفك بعد من فكر ماضيها المتعصب، حيث العادات الجاهلية بقيت سارية فيبين ثنايا الحياة الاجتماعية الأموية فالقبائل العربية والتي خضعت لسلطه الدولة الأموية من جهة بقيت تمارس حياتها الرعوية من جهة أخرى

[1]– الصعاليك في العصر الأموي أخبارهم وأشعارهم ، المرجع السابق، ص70.

[2]– المرجع نفسه، ص42.

لأنها بقيت متمسكة إلى حدٍ بعيد بعادات الجاهلية كالترحال من مكان إلى آخر، وحياة الأعرابي قائمة على الترحال والتنقل والنفور من الاستقرار في بيئة واحدة ، كما أن الحياة السياسية بتقلباتها وتجاذباتها، وما ظهر فيها من تحزبات و تفرقات كان لها الأثر الكبير على الحياة في العصر الأموي.

فشعر الصعاليك في تلك الفترة ينطق بثورتهم وسخطهم على الدولة الأموية ومهاجمتهم إياها ومشاركتهم في الثورات التي سعّرت ضدها والغزوات التي شنَوها هم ذاتهم عليها وعلى جيوشها، فنجد مالك بن الريب قد لخّص نظرية الفساد الاقتصادي ذلك الفساد الذي ظهر على أثره الفقر والبؤس الذي كان من دوافع الصعلكة، كما يبين كيف أن فساد السياسة الأموية كان من أسباب تصعلكه[1]. وفي هذا يقول :

لَو كنتم تُنكِرون الغَدْر قُلْت لكم مروان جَاري مِنكم الحُكم
وأتْقِيكُم يَمِـــــــــــــينَ الله عند الشُهود وقد تُوفِي به الذِّمَمُ
لا كُنتُ أُحْدِث سوءًا في إمَارتِكم ولا الّذي فَاتَ مِنْي قبلُ يَنْتَقِمُ
الذين إذا خـــِــــــفْتم مُجَلْلَة قلتم لنا إننا منكم لِتعْتصِموا
حتى إذا اِنفَرجَت عنكم دُجْنَتُها صِرتم كجُرمِ فلا ألٌ ولا رحِمُ

إن مالك يلخص في شعره ما أثاره في العصر الأموي وما أثر فيه، من عصبيات بين القبائل و كيف أنهم – الأمويين – كانوا يغذون العصبيات و يثيرون الخلافات وهو ما سبّب الحقد لدا مالك على سياستهم وهذا الحقد هو ما دفعه إلى التصعلك .

" اللاتكامل الاجتماعي" [2] والتصدع والتفكك الناتج عن الصراع بين مطلب الواقع ومايعيشه وبين الحاجة الغريزية والمطلب الطلب الفطري، لا يمكن الجمع بينهما في آن واحد .

إن الصعلكة قد جعلت من مالك بن الريب أشهر الصعاليك في الإسلام وهذا لشدة بطشه في قطع الطريق، وكما ورد في أخباره الكثيرة تحديه فمنها ما يدل على انه كان يتحدى حتى منافسه في قطع الطريق ومن شهرة قوته انه قتل افلح الذي ظل يقطع الطريق على القوافل وحده بخرسان 20سنه[3]، كما أن جرأته وتمرده جعلا منه يتوعد بني مروان ويقف بالجهة

[1] الصعاليك في العصر الأموي أخبارهم أشعارهم، المرجع السابق ص 62.

[2] – سيكولوجية الجنوح ، د– ت ، عيسوي عبد الرحمن ، الاسكندرية ، دار المعارف.

[3] – شعر الصعاليك منهجه و خصائصه، عبد الحليم حفني،الهيئة البشرية العامة للكتاب ،1987 ، ص126.

المقابلة لهم ويهجو الحجاج بن يوسف هجاء موجعا بعد أن تمرد عليه واستعصى إن فساد الحياة الاقتصادية واضطراب الأحوال السياسية وكذا التمسك بالروح الجاهلية قد كان من أهم الأسباب التي أدت إلى نشأت الصعاليك في هذا العصرِ، فالأموال التابعة لبيت المال لم تكن تنفق في سبل الخير ولصالح الجماعة بسب خيانة

العمال، وزيادة على ذلك سياسة بعض الخلفاء المجحفة السيئة مع القبائل التي ناصبتهم العداء

و المتسامحة اللينة السهلة مع أنصارهم، فالصعاليك لم يكونوا بمنء عن هذه المظالم لقد كانوا ساخطين على هؤلاء الخلفاء بسبب ذلك .

فمالك بن الريب هو من أشهر من نددوا بهذه السياسة الظالمة الجائرة، فنجده يقول:

أحقً على الُّسلطان :أمّا الذي له فيُعْطي، وأمَّا مايُراد فيمنع

وما أنا كالعَيْر المُقيم لأهله على القَيْد في بحبوحة الضَّيم يرتعُ

ومكر الأمويين وتقلبهم ومجانبتهم الحق و ابتعادهم هو من قلة وفائهم فلا يؤمن جانبهم ولا يرجى عهدهم،فهذه الصفات جعلت مالك بن الريب ينتقدهم نقدا واضحا ويناصبهم العداء ويتمرد عليهم.

الفصل الثاني

التمرد وتجلياته في شعر مالك بن الريب

1- مفهوم التمرد

1-2- أسبابه وانواعه

2- تجليات التمرد في شعر مالك

3- الحقول الدلالية وانعكاساتها على واقع الشعر

4- السمات المميزة لشعر مالك

مفهوم التمرد:

التمرد: في اللغة هو الرفض والعتو حيث جاء في لسان العرب لابن منظور أن مادة (مرد) المارد العاتي مرد على الأمر بالضم مرد مردودا فهو مارد وما مرد أقبل وعتا[1].

ونلاحظ أن التمرد من البداية يحمل معاني الرفض وعدم الخضوع حيث نجد في تاج العروس أيضا وهو من المعاجم المعتمدة عند العرب ي نجد أن مادة (مرد) على الأمراض كنصر و يمرد (مردود أو مرادة) و مرادة بالفتح فهو مارد دو مريد وتمرد فهو متمرد وفي لسان العرب تعني: أقبل وعتا عتوا[2].

وقال ابن القطاع في الأفعال: مرد الإنسان والسلطان أي كعنصر وتعني عتا، ومرد أيضا كذلك وفي الأساس المارد هو العاتي وهو مارد من المراد وتمرد وشيطان مريد أي هاتي ،ونقل عن بعض أئمة اللغة: مرد كخبث وتأويل المردود أن يبلغ الغاية التي يخرج بها من جملة ما عليه ذلك الصنف[3].

فمعاني التمرد حملت مفاهيم كثيرة ومختلفة، تراوحت بين العتو والمكر والعناد.

التمرد اصطلاحا: هو غربة الإنسان عن المجتمع والطبيعة حيث يتوجب على المرء أن ينزع ذاته من رحم والبيئة لكي يصبح شخصا مستقل بذاته، كما أن الوعي بالذات يتضمن مثل هذا الانتزاع ويتعين على المرء أن ينظر إلى نفسه وإلى الآخرين وإلى العالم على أنه كيان غريب وغامض[4].

وقد كان في إبداع الكاتب الفرنسي ألبير كامي وهو واحد من الذين أصلوا لظاهرة التمرد وبعمق، ما يؤكد أن مصطلح التمرد يعني عنده " نعم، ولا "، لأنه يرى أن أكثر ظواهر التمرد سلبية ومثاله العبد الذي يعصي فجأة أمر سيده، فإنه يشتمل بالضرورة على أن ثمة عنصرا إيجابيا، فإذا ما رفضت أداء عمل أو أكرهت على القيام به ،فهذا يعني في دخيلة النفس إرادة غامضة نوعا ما في أداء نقيضه، وقد استطاع كامي في أسطورة سيزيف أن

---

[1] – لسان العرب، محمد بن مكرم بن منزور المصري، دار صادر بيروت، ط1، ج3 ، باب مردا ، ص 400.

[2] – تاج العروس، مي الدين زوبيدي ، المطبعة الخيرية لجمالية مصر ، ط1، 1886 ، ص 449.

[3] – ظواهر التمرد ، الشعر العربي المعاصر، إعداد محمد أحمد العزب، إشراف أحمد الشرباسي رسالة دكتوراه جامعة الأزهر مصر، 1976 ، ص 6.

[4] – ظاهرة التمرد في أدبي الرصافي والزهاوي، إعداد صفانة دواود سلوم إشراف هدام جمال الدين الالوسي، رسالة ماجيستير جامعة بغداد العراق، 2007، ص 11.

يسجل السمات الرئيسية لتمرده على أنه تمرد شجاع وواع ومستبصر يرى بوضوح أن العالم غير قابل الفهم[1].

ما نلاحظه أن كامي ربط التمرد بنعم ولا فالتمرد بنعم لا يعني عنده وتمردا في حين أن الجواب بلا فهو ظاهرة سلبية تكون بالطغيان والهروب من الواقع.

وقد ورد مصطلح التمرد أول مرة ويشير إلى المنشقين عن الكنيسة البريطانية وقد ورد هذا المصطلح في معجم مصطلحات الأدب بمعناه الفكري والاجتماعي والديني[2].

والتمرد عند الشاعر أبعاد مختلفة يوجزها زهير غازي كالأتي:

فأول هذه الأبعاد عنده تكمن في رفض الشاعر للواقعة بتقاليده الاجتماعية التي تحيط به. وقد يتعداها إلى الرفض والاحتجاج على الأنظمة التي يعيش في ظلها. ويتعارض الشاعر في هذه الحالة مع مجتمعه ومحيطه، وأحد أهم هذه الأبعاد هي الثورة على التقاليد والأعراف السائدة في القبيلة ثم قيود النظام السياسي والاجتماعي[3].

يمكن القول أن التمرد يرتبط ارتباطا وثيقة باليأس والقنوط الذي يقود إلى الرفض المستمر وعدم الرضا بشكل تام على الواقع ليصنع ظاهرة التمرد في مستوى يدور مع الإنسان في الكون وجودا وعدما وفق قاعدة (أنا أتمرد إذا أنا موجود) بما يوازي الكوجيت و الديكارتي الشهير.

أسباب التمرد وأنواعه:

إذا كان التمرد هو أن يخالف الإنسان ويقابل ويرفض كل مالا يوافق إرادته أو حتى ينائي طموحاته ويقمع حريته ويكبّل أحلامه ويحدد أفاقه فيكون التمرد على كل هذه السلاسل وهذه القيود هو و انطلاقا من هذه النقطة نقطة الفناء لبداية حياة جديدة و انفتاح أفق للتحليق بالأفكار وانفكاك للقيود .

صحيح إن النقطة الأولى و المركزية الدافعة لهذه الظاهرة هي الظرف الحياتي المحيط بالإنسان وما ترتب عنه من أثار وترسبات نفسيه أوقدت فيه شعله نزعة التمرد و الرفض ، فعصى وهراوة سياسية السلطة و الفقر والحاجة الاجتماعية كل هذا جعل الإنسان

[1] – ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر ، المرجع السابق ص 7

[2] – ظاهرة التمرد في أدبي الرصافي والزهاوي، المرجع السابق، ص 11.

[3] – ظاهرة التمرد في ادبي الرصافي والزهاوي، المرجع السابق، ص 14.

يبدي رده فعل اتجاه ما وقع من ضيم و ظلم وهو ما جعل هذا الشاعر العربي يأخذ قلمه وسيفه ليعيش بعيدا عن الجماعة والقبيلة فهذا الانحراف وهذه النزعة قد يراها البعض جرما كما قد يراها آخرون بطوله و أين كانت هذه النظرة فهي تعود بالضرورة إلى عوامل نفسيه داخليه ونزعات ذاتيه أو إنسانية.

إن السياسة الظالمة التي كانت تعتمدها سلطة بني أمية قد عاداها الكثير من الشعراء وقد عبر عن ذلك مالك بن الريب فقال :

نحن الّذين إذا خـفْتم مُجَلْلَة قلتم لنا إننا منكم لِتعْتصِم

حتى إذا اِنفَرجَت عنكم دُجْنَتُها صِرتم كجُرمٍ فلا ألٌ ولا رحِمُ

انقسم لاشك في إن هذا النمط من السياسة أ ثر على المجتمع سياسياً واقتصادياً واجتماعياً فقد المجتمع إلى قسمين إن لم يكن أكثر، قسم والى الدولة الأموية لمنفعة شخصية، وقسم عاداها لاعتبارات فكرية وسياسية ودينية فكان نصيب الفريق الثاني المعادي لرؤية بني أمية و الظلم الاضطهاد والفقر والتشرد ونتيجة لهذا الواقع المرير الذي يعيشونه تمخضت فئة لم ترض بهده الحالة .

فتمردت على السلطة والسياسية و اتخذت من الهجاء والتهديد والوعيد وإشهار السلاح وسيلة للتعبير عن رأيها وإشعار الدولة بأنها على طرف نقيض معها وقد

عبّر مالك بن الريب عن عدم الاستكانة و الرضوخ لهدا الوضع كدا السخط وعدم الرضا بحياة المذلة قائلا :

وما أنا كالعِير المُقِيمِ لأهْلِه على القَيْد في بَحْبُوحة الضرَّيم يرتعُ

تجليات التمرد في شعر مالك :

ولمّا كان الإنسان بطبعه واحد من البشر فهو دائم البحث في مجتمعه ومحيطه عن الأمان والاستقرار والحياة العادلة فإن لم يجد ذلك أبدى رفضه وتمرده وازداد عصيانه كلما ازداد إحساسه بالقهر والذلّ .

فمن أشعار مالك التي يظهر فيها رفضه وتمرده :

أحقًا على السُّلطان أمًّا الذي له فيُعطي وأمًّا ما يُراد فيمنع

إذا ما جَعلتُ الرملَ بيني وبينه واعرض سَهبُ بين يَبْرَين بَلْقَعُ

من الأدَمَى لا يستجمُّ بها القطا تكلَ الرياح دونه تَتَقَـــطعُ
فَشأنكُم يا أل مــروان فاطْلبُوا سِقاطي فَمَا فِيه لبَاغِيه مَطْمَعُ
وما أنا كالعِير المُقِيمِ لأهْلِه على القَيْد في بَحْبُوحة الضَّيم يرتعُ[1]

إن البيت الأول يبرز سياسة السلطان المبطنة، فالعطاء والمنع مثلا سياسة الدولة وكشفا عن الهوة بين الذات الشعرية التي تمثل قيم المجتمع و السلطة التي تمثل الثقافة الجديدة وليدة المصالح الشخصية وهي بعيدة كل البعد عمّ كان يجب أن يكون في من يعتلي كرسي الحكم الذي هو بمثابة الوالي والوكيل الذي يؤمن جاره ، هذا التصادم بين ما هو كائن وما يجب أن يكون ولّد روح التمرد وردة الفعل هذه ،فهو تحدّي وصراع واضح لهذه السلطة.

قد مثل وابرز ردة فعل الشاعر الفعلية الحركية ليس فقط القولية فالخروج إلى الصحراء ورمالها تمرد على واقع التمدن وقوله_ بيني وبينه_ هو تمرد يظهر فيهما مالك انه ند لهذه القوة ولتبعاتها وتبرز اعتزازه بذاته وبموقفه وفكره ، فقدم ذاته عليها "بيني و بينه."

الشطر الثاني من البيت والبيت الثالث قد صورا المكان الذي اتخذه الشاعر ليعيش فيه بعيدا عن هذه المجتمع وهذه السلطة، و الذي اتخذه بديلا عن المكان الذي كان فيه رغم انه مقفر لا ماء فيه ولا حياة، قوة المكان و صلابته تبرز قوة رغبة مالك في التخلص من قوة الرضوخ والاستسلام وهو ما يجعلنا نلمس ثنائية قوة الذات ورضوخها .

فالقطا لا تجتمع في هذا المكان ولا تكثر، حتى أن الرياح العاتية تكلّ وتتراخى أمام اتساع المكان، وهذا ما يحيل لفعل التحدي(اطلبوا) بكل إمكانياتكم وقوتكم سقاطي ليأتي بعد ذلك الجواب (فما فيه لباغيه مطمع).

إن اختيار الشاعر لهذه الصحراء الشاسعة هو تحجيم و تقزيم لخصمه ولقوته، فهو تمرد أظهره على وجه الهجاء والاستهزاء

وفي البيت الأخير:

فما أنا كالعير المقيم لأهل على القيد في بحبوحة الضيم يرتع

[1] –ديوان مالك بن الريب ، تحقيق د/ نوري حمردي القيسي ، ص 79.

نرى أن مالك طرح وصفا واضحا لمن هم راضون بالذلّ مستسلمين له فشبههم بالحمار الوحشي القانع بأكله الراضي بمرتعه رغم الذلّ .

ونجد مالك بن الريب يتمرد ويعترض على سياسة بني أمية فيقول:

يا أل مَروانَ جَارِي مِنْكم الحُكمُ لو كُنتُم تُنكِرون الغَدْر قلْتُ لكم

وأتَّقيكم يَمِين الله ضَـــاحِيةً عند الشُّهود وقد تُوفِي بِها الذِّمَمُ

لا كنت أُحْدِثُ سوءًا في إمَارَتِكم ولا الّذي فَاتَ مِني قَبْلُ يَنْتَقِمُ

نحْنُ الّذين إذا خِفتُم مُجلْلَةً قُلتم لنا أننا مِنكم لتَعْتصِمُوا

حتى إذا انْفَرَجَتْ عَنكُم دُجْنتُها صِرتُم كجُرمٍ فلا آلُ ولا رَحِمُ[1]

إن هذا النص المتمرد والذي تتوضح فيه رغبة الإفصاح عن التمرد الكامن في نفس صاحبه يرسم صورة واقعية ومعبرة لمجريات الحياة حينها، فتتجلى فيه سلطة ولاة الأمر و دكتاتوريتهم على شعوبهم ورعيتهم، كذا تتوضح فيه الرغبة الجامحة من هذه الفئة المتمردة – الصعاليك –المعارضة للسلطة فلغة مالك بن الريب الشعرية عبّرت عن مكنوناته الداخلية وتفاعلاته النفسية، فمالك يختزل مصير الفئات المظلومة التي انسلخت عد الحياة الطبيعية والممارسات العادية بسبب طغيان أل مروان و بسبب سياستهم الغادرة التي اتسموا بها، فالنص جعل من هذه الصفة ملازمة لسلطة بني أمية– متلازمة بني أمية– (لو كنتم تنكرون الغدر) .

كما أن النص قد ربط تصرفات الشاعر بما أملاه عليه الأخر من تصرفات وردات فعل (لا تنكر الغدر) ترتب عنها(لم اقل لكم جاري منكم الحكم) و(لم أتقيكم يمين الله) و(لا كنت احدث سوءا) و (من الذي فات مني)

فالنص الشعري صريح واضح يبرز معاناة مالك وغيريه من المتمردين الذين سلكوا هذا الطريق الخارج عن نطاق السلطة القانونية المنظمة للمجتمع غير أن الظلم والجور و سياسة التسلط هي من أجبرتهم على المعارضة والتمرد.

وتوظيف مالك للذات الشاعرة في نصه (أتقيكم، لا كنت، مني، نحن ، لنا،) جعلها محور الأحداث ما هو تأصيل لفكره الرفض وتصريح بالتصدي والمواجهة لهذه السلطة أن تمرد مالك لم يكن لذاته فهو لم يعبر الضمير (أنا) وإنما عبر عن الجماعة استعمال

[1] –ديوان مالك بن الريب ، تحقيق د/ نوري حمردي القيسي ، ص 85.

الضمير(نحن) فهو هنا ينفصل عن الجماعة المستبدة ويعلن تواصله مع من هم مثله من جماعته وقبيلته . وتوظيف مالك لضمير الغائب الجمعي (كنتم. وتتكرون، ولكم، وأتقيكم، و إمارتكم، و خفتم، وقلتم....) دلاله الفصل بين أنا– الأنا – الشاعر و قومه أي الآخر و المتمثل في السلطة.

فنجد أن النص قد كشف عن الرفض التام لسياسة السلطة الحاكمة والخروج في نفس الوقت عنها وعن سطوتها وهو تجلي لذات الشاعر – الذات المتمردة– "

يمكن النظر إليه على انه عملية مستمرة تبدأ من السبب إلى الدافع وتنتهي بالهدف" [1].

فالرفض بحد ذاته تمرد على الأمر وهو سلاح مشهّر يوحي بالتصدي للسلطة المستبدة.

فمالك يستعمل أسلوب التعريض والتعرض لسياسة بني أمية الجائرة وإنما وظّف أيضا أسلوب الهجاء ليندد ويعلن رفضه لهذا الجور فنجده يهجم ويهجو الحجاج بقوله:

فإنْ تُنصِفُونا يا آلَ مروانِ نَقْتَرِبُ ... أليكم و إلا فَأْذَنُوا بتعادي

فإنَّ لنَا عنْكُم مَراحًا ومزْحَلًا ... بعيسٍ إلى ريْحِ الفَلاةِ صَوادِي

وفِي الأرْضِ عن دارِ المذلة مَذهبٌ ... وكلُّ بِلادٍ أوْطَنتْ كَبِلادِي

فَمَاذا عسى الحَجَاجَ يبْلُغُ جُهْدُه ... أذا نحن جَاوزْنَا حَفِيرَ زيادٍ

لولا بنو مَرْوانَ كان يُوسْفَ ... كمَا كان عبدًا من عَبِيدِ إيادِ

زمان هو العبد المقر بذل ... يراوح صبيان القرى و يغادي[2]

إن مالك في البيت الأول يشترط على آل مروان الذين هم السلطة والقوة أن يعاملوهم بالإنصاف و العدل فإذا كان ذلك كان اقترابهم منهم وان كان عكس ذلك كان الابتعاد عنه لان بني أمية امتازوا بسياسة عصبيه قبليه يسعون لان تكون القبائل متجمعة حولهم وموالية لهم فهذا يزيدهم رفعه وقوه.

[1]– العصبية والدولة (معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي)، د .محمد عابد الجابري ،ط 6، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت،1994.

[2] –ديوان مالك بن الريب ، تحقيق د/ نوري حمردي القيسي ، ص 99.

أما البيت الثاني والبيت الثالث فهو يقر فيهما انه رغم أن المكان الذي سيتخذونه بديلا لهم عن مكان الذل و والضيم سيكون وطنا لهم وهي رسالة يعلن فيها الشاعر تمرده عن حياه الذل الآمنة بحياة الكرامة الشاقة الوعرة .

وفي البيت الرابع نجد مالك أيضا يتمرد بروح السخرية على السلطة المتمثلة بالحجاج ويحدد حدود حكمه و سلطته وانه غير قادر عل معاقبته ومعاقبه أمثاله إذا ما خرج عن حدوده ، و هو تمرد ساخر مهين لمن يرى انه الأقدر على الغير و المتمكن ممن حوله .

أما الخامس من الأبيات فهو يواصل فيه تمرده الساخر من الحجاج ويتناول فيه ضعف شخصيته وانه لظلّ عبدا من بني إياد لولا وجود بني مروان.

وهذه الأبيات وظّف فيها الشاعر من ألفاظ العبودية هو لأغراض نفسية للشعر فهو تمردا آخر أي تمرد على الذات شخصية الحاكمة وأصولها الحرة أو المستعبدة ، وهو هنا تمردا ساخر غرضه التنكيل بولي الأمر والإقلال من شانه .

وان كانت الأبيات تحدي بشكل خاص على الحجاج فهي تحدي أيضا بشكل عام على سلطة بني مروان و بذلك يكون التمرد على البنية السياسية و السلطة الحاكمة دون خوف وهذا التمرد الصريح في هذه الأبيات جعل بني مروان يحاولون قمع المتمردين على السلطة فأمر مروان بن الحكم الحارث بن حاطب الجمحي وكان من عماله على بني عمر بن حنظله القبض على مالك بن الريب ولم يأبه مالك واخذ يهدد مروان ويتوعده أيضا قائلا :

ألا مَنْ مُبلِغَ مَروان عنّي فإنْي لَيسَ دهري بالفرارِ
ولا جَزِعٍ من الحَدثان يومًا ولكني أُرود لكم وَبارِ
بهِزمَارٍ تُرادُ العيسُ فيها إذا اشْفقْن من قلق الصِفارِ[1]

و لم يكتفي مالك بتوعد الشخص المقصود لوحده وإنما تعداه لينيه ونسله وهو ذاته ماقام به مع الحارث فقد هدده وبنيه قائلا :

تَألَّى حَلْفةً في غير جُرْمٍ أميري حارثُ شِبْهَ الصِّرارِ
عَليَّ لاجْلَدَنْ في غَيرِ جُرْمٍ ولا أُدْني فينْفَعُنِي اعتذارِي
وقُلتُ وقد ضَممتُ إليّ جأشي: تَحلّلْ، لا تَألَّ عليّ، حاَر

[1] ديوان مالك بن الريب تحقيق د/ نوري حمردي القيسي ، ص 77.

فإنِي سوف يكْفِينِيك عَزْمِي ونَصِّى العيسَ بالبلدِ القِفَارِ[1]

ويقول أيضا :

وأنْيَابٍ سيُخْلِفُهنّ سيفي وشَدّاتُ الكميِّ على التُّجارِ

فان اْسطِعْ أُرِحْ منه أنَاسِي بضَرْبةِ فانكٍ غير اعتذارِ

وان يُفْلت فإنْي سوف ألقى بنيه بالمدينةِ أو صِرارِ [2]

إن مالك ابن الريب لم يكترث لتهديد الحارث له وتوعده فهو يجد أن ما يقوم ليس جرم وان ما فعله لا يعتبر خطأ يستحق العقاب وانه حتى لو اعتذر لن يقبل اعتذاره وان هذا التهديد لا يخيف مالك فهو لن يقدر عليه بعد خروجه إلى الفلوات ولن ينال منه غير شعور الرغبة في القبض عليه والقضاء على تمرده

وانه حتى وان لم يقتل الحارث فسيبقى يطارد بنيه انتقام منه لأنه بنظره ضار وظالم

ويقول مالك:

غلامٌ يَقولُ السَّيفَ يُثْقِلُ عَاتِقِي إذا قَادنِي وسط الرِجَالِ الُمجَحْدلِ

فلولا ذبابَ السيفِ ظلَّ يقودُنِي بنِسْعتِه شثن البنان حَزَنبل[3]

ومالك هنا يواصل تمرده على السلطة و يصف الحادثة التي وقعت له مع الغلام الغليظ الذي عمد إليه الرجل الأنصاري الذي وكله الحارث بالقبض على مالك وانه أي الملك انتزع منه السيف وقتله وقتل الأنصاري وهرب منهما فهو هنا لم يستسلم للحاكم ولا لأنصاره وتمرد عليه بقتل رسله و عماله وهنا مجاهرة صريحة بتمرده على السلطة وسياستها.

ولم عجز آل مروان عن الإطاحة بمالك بن الريب عمد سعيد بن عثمان والي خرسان في عهد معاوية بن أبي سفيان إلى استمالته لأنه كان يتسم بالشجاعة والمنظر الحسن .فتوجها اليه وتكلم معه بان يغنيه و يستصحبه ويكف هو عم يفعله وافق مالك ما عرضه عليه[4] .

---

[1] المرجع نفسه ص 75.

[2] المرجع نفسه ، ص 76.

[3]–ديوان مالك بن الريب ، تحقيق د/ نوري حمردي القيسي ، ص 80.

[4] الأغاني ، أبو فرج الأصفهاني،تحقيق إحسان عباس ،دار صادر بيروت، ط1 ،2002، ص 288.

ومن هذه الاتفاقية التي ابرمها سعيد بن عثمان مع مالك بن الريب تؤكد أن شعر هذه الفئة المتمردة والخارجة عن الأمر السلطة قد مثل سلاحا قويا حادا و وشوكة ضد السلطة الحاكمة وهو ما يبرز أيضا أن هذا التمرد قد زرع الخوف في نفس السلطة وفي جنباتها، وهو أن يعمل على تحريك المجتمع الأموي ضد أل مروان والتأثير فيه إن التمرد هو وليد عدة أسباب كما رأينا الأسباب أما سياسية أو اجتماعيه أو نفسية فها هي المظاهر و الأشكال التي يتخذها التمرد عند مالك بن الريب لمسنا التمرد في شعر مالك وما جاد به لسانه من أبيات شعر معلنا فيها تمرده ضد.

آل مروان وسلطتهم المتعسفة و الجائرة فهذا تمرد يمكننا وصفه بتمرد لفظي استعمل فيه مالك ألفاظا وأقوالا يهاجم بها خصومه، و سلاحه في ذلك هو شعره وما يتلفظ به لسانه وتجود به قريحته.

غير إن مالك لم يكتفي برده الفعل هذه أو بهذا التمرد اللفظي بل تعداه إلى نوع آخر وهو تمرد فعلي تمثل في غاراته و هجوماتهـ وقطع الطريق وهذا كله استعمل فيه الحركة والقوة و السيف،وبذلك يمكننا القول انه تمرد جسدي حركي– فيزيائي– إن أمكننا ذلك كما أننا نجده أي (التمرد) قد ظهر كردِّ فعل نفسي تمثل في رفض شخصية مالك ومن مثله من الصعاليك للذلّ والقهر والاستعباد والاستعلاء الذي مارسته سلطة آل مروان على رعيتها والردّ على مثل هذا النوع من الإهانة للنفس البشرية يكون ردا نفسيًا نابعًا من دواخل الإنسان وتابعًا لشخصيته، شخصية قوية مقدامة بطولية شجاعة جريئة متحدية لا ترضى الهوان تتحرك فيها النوازع النفسية الرافضة لواقعها والمتمردة عليه وتبقى في توالد مستمر حتى تنتصر على هذا الواقع فتحس بنشوة الانتصار ولذة الفوز والغلبة على الخصم فيهنأ بالها وترتاح نفسها ،وإمّا إن تكون شخصية ضعيفة ذليلة منكسرة مسالمة لا يحركها الطموح ولا يؤثر فيها الأمل فتبقى مستأنسة بحياتها معْبرا لأعدائها مرتعا لخصومها لا حياة فيها لمن تنادي شخصية اللاشخصية حياتها وموتها سواء.

فردة الفعل هذه نابعة من نفسية القائم بها والفاعل لها فهي تمرد نفسي، وهو ما لمسناه في شخصية مالك بن الريب الشخصية المتحدية الجريئة الشجاعة التي تأبى الذل والهوان.

كما يقد يكون التمرد اجتماعيا، ويكون ذلك بالتمرد على المجتمع وعاداته و أعرافه وهو ما قام به الصعاليك كمالك ابن الريب حيث أنهم اختاروا عيشة القفار والصحاري والاستئناس

بالوحوش والخلاء على العيشة بين أهاليهم وقبائلهم فهذا تمرد على المجتمع البشري لأنه يخالف طبيعة الإنسان الاجتماعية التي يألف فيها غيره من الناس ويألفونه فيعيش ويتعايش معهم في مجتمع واحد ولا يترك ذلك و ينفي ويذهب بعيدا عن كل ذلك ليعيش لوحده في صحراء مقفرة لا أنيس فيها له من البشر غير الوحش ، فهو تمرد اجتماعي يعلنه المتمرد ضد مجتمع و قبيلته.

وقد يكون التمرد على السلطة وسياستها فهو تمرد سياسيا وهو ما يمكننا أن نلمسه في مالك ابن الريب وأمثاله في كونهم يرفضون عصى السلطة وبدها عليهم ويريدون أن يقيموا حكمهم لوحدهم وسلطتهم على ذاتهم نابعة من هم ذاتهم يحققون فيها العدل و التسامح لا القهر و الاستذلال الذي تقيمه عليهم سلطة وسياسة الطرف الآخر الرافضين له جملةً وتفصيلا، المتمردين عليه أصلا.

"وأنهم كانوا يريدون له أن يذل ويستسيغ الهوان" [1] مما دفعه إلى إعلان الثورة عليهم.

الحقول الدلالية وانعكاساتها على واقع الشعر :

تعد قصيدة مالك بن الريب واحدة من شعر الفتوح الإسلامية ،التي استطاع الشاعر من خلالها أن يرسي لبنة في بناء عظيم من تاريخ شعر الجهاد في عصر صدر الإسلام ،لما تزخر به من قيم أخلاقية، ومشاعر صادقة تتعمق النفس الإنسانية في لحظات إنتصارها وانكسارها ،وقوتها وضعفها دون إخفاء أو مراوغة أو إدعاء المثالية والبطولة، وبما تزخر به أيضا من تشكيل للوطن الذي يتخد صورة وجدانية ،ومساحة جغرافية في الوقت نفسه .

1 أَلَا أَيْنَ شِعْرِيٍّ هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةَ بَوَادي الْغَضَى أُزَجِّي الْقِلَاصُ النواحيا

2 فليت الْغَضَى لَمْ يُقَطِّعِ الرَّكْبُ عَرَّضَهُ وَلَيْتَ الْغَضَى مَاشَى الرِّكَابُ لياليا

3 لقد كَانَ فِي أَهْلِ الْغَضَى لِوَدَّنَا الْغَضَى مَزَارٌ وَلَكِنَّ الْغَضَى لَيْسَ دَانِيَا

4 أَلْم تِرِنَّي بِعْتُ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَأَصْبَحَتْ فِي جَيْشِ اِبْنِ عَفَّانِ غَازِيًّا

5 وأصبحت فِي أَرْضِ الأعادي بَعْدَهَا أَرَانِي عَنْ أَرْضِ الأعادي قَاصّيا

[1] الصعاليك في العصر الأموي أخبارهم وأشعارهم ، محمد رضا مروة ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان،ط1 ،1990 ، ص138،

6 دعاني الْهَوَى مِنْ أَهْلِ أَوَدٍ وَصُحْبَتِي بِذِي الطبسين فَالْتَفَتَ وَرَائِيًّا
7 أَجْبت الْهَوَى لَمَّا دَعَانِي بِزَفْرَةِ تَقَنَّعَتْ مِنْهَا أَنْ أُلَامَ رِدَائِيًّا
8 أقول وَقَدْ حَالَتْ قُرَى الْكُرْدِ بَيْنَنَا جَزَى اللهُ عَمَّرَا خَيْرُ مَاكَانِ جَازيا
9 إِنِ اللهَ يَرْجِعُنِي مِنَ الْغَزْوِ وَلَا أَرَى وَإِنَّ قَلَّ مَالُي طَالَبَا ماورائيا
10 تقول اِبْنَتَي لَمَّا رَأَتْ طُولَ رِحْلَتِي سِفَارَكَ هَذَا تَارِكَا لاأباليا
11 لعمرِي لَئِنْ غَالَتْ خُرْسَانِ هَامَتَي لِقَدَّ كُنْتُ عَنْ بَالِي خُرْسَانِ نَائِيَا
12 فإِنْ أَنْجُ مِنْ بَابِي خُرْسَانِ لَا أَعُدْ إِلَيْهَا وَإِنَّ منيتموني الْأَمَانِيَا
13 فلله دُرِيَ يَوْمٌ أَتَرُكُّ طَائِعَا بُنِّي بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ وَمَالِيًّا
14 وَدُرِ الضباء السَّانِحَاتِ عَشِيَّةَ يُخَبِّرَنَّ أَنِّيُّ هَالِكُ مَنْ وَرَائِيًّا
15 ودر كبيرى الْلَذَيْنِ كِلَاهُمَا عَلَى شَفِيقِ نَاصِحِ لَوْ نهانيا
16 ودر الرُّجَّالِ الشَّاهِدِينَ تَفُتْ كَيْ بِأَمْرِيٍّ أَلَا يُقَصِّرُوا مِنْ وَثَاقيا
17 ودر الْهَوَى مِنْ حَيْثُ يَدْعُو صَحَابَتُي وَدُرُّ لَجَاجَاتِي وَدُرِّ انتحائيا
18 تذكرت مَنْ يَبْكِي عَلِيٌّ فَلَمْ أَجِدُ سِوَى السَّيْفِ وَالرُّمْحِ الرُّدَيْنِيِّ بَاكِيًا
19 وأشقر مَحْبُوكًا يَجُرُّ عَنَانُهُ إِلَى الْمَاءِ لَمْ يَتْرُكَ لَهُ الْمَوْتُ سَاقِيًا
20 ولكن بِأَطْرَافِ السَّمِينَةِ نِسْوَةَ عَزِيزَ عَلَيْهُنَّ الْعَشِيَّةَ مابيا
21 صريع عَلَى أَيَدِيَّ الرُّجَّالِ بِقَفْزَةِ يسؤون لِحُدِيَ حَيْثُ حَمِ قَضَائِيًّا
22ولما تَرَاءَتْ عِنْدَ مروِ مَنِيَّتِي وَخُلِّ بِهَا جِسْمِيٌّ وَحَانَتْ وَفَاتيا
23 أقول لِأَصْحَابِيٍّ أَرَفَعُونِي فَإِنَّهُ يُقِرُّ بِعَيْنِيٍّ أَنَّ سُهَيْلَ بَدَليا
24فيا صَاحِبِيَّ رِحْلَيْ دَنَا الْمَوْتُ فَانْزَلَا بِرَابِيَةِ إِنْي مُقِيمِ لياليا
25أقيما عُلِيَا اللَّوْمُ أَوْ بَعْضُ لَيْلَةٍ وَلَا تُعَجِّلَانِّي قَدْ تَبَيَّنَ شَانيا
26 وقولا إِذَا مَا اِسْتَلَّ رُوحِيًّا فَهَيِّئَا لِي السِّدْرُ وَالْأَكْفَانُ عِنْدَ فَنَائِيًا
27 وخطا بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَضْجَعِيَّ وَرَدًّا عَلَى عَيْنِيٍّ فَضْلِ رِدَائِيًّا
28 ولا تَحْسُدَانِي بَارُّكَ اللهَ فِيكُمَا مِنَ الْأَرْضِ ذَاتُ الْعَرْضِ أَنَّ تَوَسُّعًا لِيَا
29خذاني فَجَرَّانِي بِثَوْبِيٍّ إِلَيْكُمَا فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صَعَّبَ قِيَاديا
30وقد كُنْتُ عِطَافًا إِذَا الْخَيْلِ أَدَبَّرَتْ سَرِيعًا إِلَى الْهَيْجَاءِ إِلَى مِنْ دعانيا

31 فطورا تَرَانِي فِي ضُلَّالٍ وَنَعَمَةٍ وَطَوْرًا تَرَانِي وَالْعُتَّاقُ رُكَّابيا
32 ويوم تَرَانِي فِي رَحَى مُسْتَدِيرَةٍ تَخْرَقُ أَطْرَافُ الرُّمَّاحِ ثِيَابيا
33 وقوما عَلَى بِئْرِ السَّمِينَةِ أَسَمْعًا بِهَا الْغِرُّ وَالْبُيْضُ الْحِسَانُ الروائيا
34 بأنْكمَا خَلَّفْتُمَانِي بِقَفْزَةٍ تُهَيِّلُ عَلِيَّ الرّيحِ فِيهَا السوافيا
35 ولا تَنْسَيَا عَهْدُي خَلِيلِيَّ بعدمَا تَقَطَّعَ أَوْصَالِيَّ وَتَبْلَى عِظَامِيا
36 ولن يُعْدِمُ الوالون بَثًّا يُصِيبُهُمْ وَلَنْ يُعْدِمَ الْمِيرَاثُ مُنِّيَّ مَوَالِيَا
37 يقولون لاتبعد وَهُمْ يَدْفِنُونِي وَأَيْنَ مَكَانِ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانيا
38 غداة غَدَ يالهف نَفْسِيَّ عَلَى غَدٍّ إِذَا أَدْلَجُوا عَنِيَّ وَأَصْبَحَتْ ثَاوِيَا
39وأصبح مَالِيَّ مِنْ طَرِيفِ وتالد لِغَيْرِي، وَكَان المال بِالْأَمْسِ مَالِيَّا
40 فياليت شِعْرِيَّ هَلْ تَغَيَّرتُ الرّحَا رُحْتُ الْمِثْلَ أَوْ أَمَسَّتْ بفلوج كَمَا هِيَ
41 إِذَا الْحَيَّ حلْوَهَا جَمِيعًا وَأَنْزَلُوا بِهَا بقرا حَمّ الْعُيُونِ سواجيا
42 رعين وَقَدْ كَادَ الظَّلَامُ يَجُنُّهَا يَسْفُنَّ الْخُزَامَى مَرَّةً والأقاحيا
43 وهل أَتَرْكَ الْعِيسُ العوالي بِالضُّحَى بِرُكْبَانِهَا تَعْلُو الْمَيْتَانِ الفيافيا
44 إِذَا عَصَّبَ الرَّكْبَانِ بَيْنَ عُنَيْزَةَ وَ بَوْلَانِ (عَاجُوا المبقيات النواجيا
45 فيا لَيْتَ شِعْرِيَّ هَلْ بَكَتْ أَمْ مَالِكٌ كَمَا كُنْتُ لَوْ عَالُوا نَعْيَكَ بَاكِيًا
46 إِذَا مُتْ فَاِعْتَادِي الْقُبُورَ وَسُلَّمِيَّ عَلَى الرَّمْسِ أَسَقَيْتُ السَّحَابَ الغواديا
47 علَى جَدَثٌ قَدْ جَرَتِ الرّمح فوقهُ تُرَابًا كسخق المرنباني هَابيا
48رهينة أَحْجَارٌ وَتَرَبٌّ تَضَمَّنَتْ قَرَارَتُهَا مَنِّيَّ الْعِظَامِ البواليا
49فيا صَاحِبًا إِمَّا عَرَّضَتْ فبلغن بُنِّيِّ مَازِنٍ وَالرَّيْبِ أَنَّ لَا تَلَاقِيَا
50وعّر قلوص فِي الرِّكَابِ فإنها سَتَفْلِقُ أَكْبَادًا وَتَبْكِي بواكيا
51وأبصرت نَارَ الْمَازِنَاتُ مَوَّهَنَا بِعَلْيَاءِ يُثْنِي دونُهَا الطَّرِفُ دانيا
52بعود النجوج أَضَاءَ وَقُودُهَا مَهَا فِي ظِلَالِ السِّدْرِ حورا جَوَازيا
53غريب بَعيدَ الدَّارِ ثَاوٍ بِقَفْزَةٍ يَدِ الدَّهْرِ مَعْرُوفًا بِأَنَّ لَا تَدَانِيَا
54أقْلب طَرْفِي حَوْلَ رِحْلِيَّ فَلَا أرى بِهِ مِنْ عُيُونِ المونسات مراعيا
55وبالرمل مَنَّا نِسْوَةٍ لَوْ شَهِدْنَنِي بكينا وَفَدَيَّنَا الطَّبِيبَ الْمُدَاوِيَا
56 وماكان عَهْدَ الرَّمْلِ عُنَّدِيٌّ وَأَهْلُهُ ذَمِيمَا وَلَا وَدَعَتْ بِالرَّمْلِ قَالِيا

57فمنهن أُمِّيَّ وابنتاي وَخَالَتَي وَبَاكِيَةَ أُخْرَى تَهَيُّجِ البواكيا[1]

لقد احتوت هذه القصيدة على حقول دلالية يمكن جمعها فيما يلي :

1 –حقل الحنين إلى الوطن: إن غياب الشاعر عن جغرافيا المكان، وحضور المكان في زوايا النفس والعقل، يكشف عن حضور فسيفسائي للوطن فيذكر الغضا وأهله وأصحابه ، وترابه وأرض ،وسوق النوق ونجم وسهيل ....الخ ،وهو في استحضاره لمكونات الغضا يعمد إلى تأليفه وصياغته من جديد ليتمكن حضوره ويستقر في صورة واضحة على صورة روحه وقد ساق ذلك كله في صورة أمنيات يغلب عليها الطابع الفلسفي العميق، والكثافة التعبير قيمة التي يتجلى فيها الغضا في صورة إنسان يعجب منه الشاعر لكونه سمح له أن يفارقه دون أن يقف حائلا أمام ركبه لمنعه من السفر إلى بلاد الغربة ،كما يعجب لكونه لم يسافر معه فكأن الشاعر في هذا الحلم الإبداعي يريد أن يصنع تصورا جديدا للعالم ومكوناته، تجعل المكان قادرا على اختراق الزمان ليحقق وجوده وحضوره بصورة معينة في جغرافيا الروح[2].

لقد وظف للشاعر مصطلحات تأكد لنا اشتياقه وحنينه لوطنه فقد ذكر أصحابه وأرضه وسوق النوق ونجم وسهيل وإن دل هذا على شيء إنا يدل على حب الشاعر واشتياقه لوطنه.

حقل رثاء النفس: تشكل هذه الشريحة من ثلاثة وعشرين بيتا، وتعد مركز الإشعاع الدلالي والبؤرة المحورية التي يقوم عليها النص في إنتاج دلالته الكلية، ولأنه تحمل في ثناياها شحنات عاطفية ووجدانية تعبر عن أعمق مشاعر الإنسان ،يستهل الشاعر الشريحة ليوظف أسلوب القسم في قوله "لعمري"، ثم أسلوب التوكيد في قوله " فإن أنج " ثم أسلوب التكرار لجملة" لله دري ".

وما شابههما ويأتي ذلك كله للتعجب من نفسه وكيف طاوعته ليغترب عن أهله ووطنه، ورفضه القاطع إن عاد إليهما أن يسافر مرة أخرى[3] .

---

[1] ديوان مالك بن الريب ، تحقيق د/ نوري حمردي القيسي ، ص96

[2] – يائية مالك بن الريب بين هشاشة الحياة وفاجعة الموت د.ابراهيم نمر موسى جامعة بير زيت. الأربعاء 02مارس 11:53، 2011 من طرف أحمد عناقورة .

[3] - مالك بن الريب ضحية الطغيان الأموي محمد طاهر الصغار شبكة النبأ المعلوماتية. 10:05، 06-06-2017.

حقل تذكر الأهل: يستشعر بالمتلقي من الأبيات الأشعة المدرجة في ثنايا الشريحة الرابعة، أنها تنهض على بنية تكامليه مع أبيات الشريحة الثالثة، لأن الشاعر عندما استبق الزمن فذكر بكاء سيفه ورمحه وفرسه عليه ،قد أردف ذلك بذكر بكاء أهله على مستوى الزمن الأتي ،وعلى مستوى الزمن الماضي قبيل سفره فأشار إلى ابنته التي أخبرته أنه بسفره سيتركها وحيدة بلا أب، ثم يذكر راجعا إلى عاطفته الأبوية ليعجب من نفسه لترك أسرته وأبويه وينتهي بوصية صاحبيه أن يبلغا أسرته وأهله وعشريته بموته، وأنه لن يلقاهم بعد اليوم[1].

حقل تذكر الماضي: تشف هذه الشريحة المكونة من اثنى عشر بيتا عن مقابل دلالي بين الماضي والحاضر أو بين الضعف والوهن /القوة والفروسية، وبذلك يأخذ الماضي حيزا مكانيا كبيرا في جسد النص يعود فيه للشاعر إلى مرحلة الضلالة التي تجاوزها في البيت الرابع إلى الهدى بسيره للجهاد في جيش سعيد بن عقان، وبذلك لقيت هذه المرحلة مستقرة في عقله الباطن ،تتعمق فؤاده، وتستتر تحت غلالة رقيقة من الحاضر، حتى إذا أراد البحث عن كينونته لم يجد سوى الماضي وخاصة أنه يرفض الحاضر ،لكنه لم يستقصي الفضائل الأخلاقية ألتي امتاز بها في الماضي مثل صعوبة انقياده للآخرين، وشجاعته وقت الشدائد، وسرعته في تلبية نداء القتال –وليس الجهاد_وصبره على نظرائه وقت النزال، وبعده عن شتم ابن عمه وجاره .....الخ[2] .

السمات المميزة لشعر مالك :

الذاتية:

إن ابرز سمة في شعر الصعاليك هي انه يجعل ذاته محورا لكل شيء ومنطلقا لكل معنى وبما أن الذاتية تجعل الشاعر يتسم بالعزة المبالغ فيها والاعتداد الشديد بالنفس غير أن الصعلوك مالك بن الريب على عكس ذلك فهو لم تكن صعلكته للاعتداد بذاته رهبة له ولا رغبة في تقدير المجتمع له ولا للاعتزاز ولا للفخر به وإنما كانت سلوكا منكرا

[1] – المرجع نفسه .

2– المرجع نفسه.

لأفعال هي في مجتمعه هو رافضا لها غير قابل للرضوخ لها ولا للعيش تحت لوائها منصاعا لقوانينها.

فيقول معتزا بذاته :

وما أنا بالثَّانوِي الحَفيظَةِ في الوغى ولا المُتقِي في السِّلم جرّ الجَّرائمِ [1]

فنجده يفسر سرّ تحديه للولاة وقدرته على الاستهانة بمطاردتهم له وقدرته على مراوغته لهم فيقول :

احقًا على السلطان أمّا الذي له فيُعطي أمّا ما يُرادُ فيَمنعِ

إذا ما جَعلتُ الرمْلَ بيني وبينه وأُعْرَض سَهبُ بين يبْرِيْن بَلقَع

من الأَدَمَى لايستجمّ بها القطا تكِلُ الِّرياحُ دُونَه تَقَطعُ

فَشَأنكم يا آل مروانَ فاطْلُبُوا سِقَاطِي فمَا فِيه لِبَاغِيه مَطْمَعُ [2]

فهنا وفي هذه الأبيات تبرز سمة الذاتية ، معتز بها مالك ، مفتخرا بقدرته ،غير أن هذا كله لم يكن للذاتية ذاتها وإنما هو لمقصده الأول وهو رفضه للسلطة ونظامها وتعسفها . والظلم المنتشر حينها .

السلاح:

إن سلاح مالك ابن الريب الفتاك والفعال ما الذي يتحصّن به هو الرحلة وقدرته على ارتياد الأماكن المقفرة التي لا يمكن لغيره من غير الصعاليك طبعا ارتيادها والتحكم فيها فيقول :

فانَّ لنا عَنْكم مِرَاحًا ومَرحَلا بِعِيس إلى رِيحِ الفَلاةِ صَوادِى

السجن :

إن السجن الذي جعلته السلطة القفص الذي تضع فيه المجرمين والخارجين عن القانون، قد وطئته و ارتادته أقدام الصعاليك الذين كانوا في نظر السلطان هم من الخارجين عن القانون فمالك بن الريب الذي دخل السجن –حبس مكة– بتهمه السرقة.

والذي قدر له أن يخرج منه ولم تكن نهايته فيه القتل كبعض الصعاليك الآخرين... [3]

وهو يصور معاناته في السجن و وحشته.

---

[1] ديوان مالك بن الريب ، تحقيق د/ نوري حمردي القيسي ، ص86.

[2] ديوان مالك بن الريب ، تحقيق د/ نوري حمردي القيسي ،ص79.

[3] الشعر والشعراء لابن قتيبة، دار المعارف ،مصر ،ج1 ص 312

الحياة الشخصية:

إن ميزة الصعاليك في شعرهم هي بحديثهم عن حياتهم الشخصية وظروفهم المعيشية و مالك يقول في ذلك:

حيث الدجى متطلعا لغفوله الذئب في غلس الظلام الخاتل[1]

التجربة والصدق:

وهو وضوح الصورة الشعرية في نفس الشاعر وفهمه الكامل لجوان بموضوع شعره بمعنى أن يكون مدركا إدراك الاقتناع والفهم العميق لموضوع شعره[2] .

فمالك كانت اشعازه نابعة من تجاربه ، معايشة لواقعه تلخص دواخله .

التصريع:

وهو أن تكون القافية الملتزم بها في أواخر أبيات القصيدة موجودة أيضا في آخر الشطر الأول من البيت الأول أي أن مصراعا البيت الأول من القصيدة متفقين في الكلمة الأخيرة أي القافية وهو ما غلب قصائد العربية غير أن شعر مالك أو مقطوعات مالك لم يلتزم فيها بالتصريع وبدت خالية منه.

المقدمة الطللية:

المقدمة الطللية من ابرز ملامح الشعر العربي وفاتحته التي يتغنى بها الشعراء غير أن مقطوعات مالك قد تخلت عن هذا الملمح البارز فمالك لم يفتتح مقطوعاته بالمقدمة الطللية كعادة الشعراء العرب.

لقد كان شعر مالك مادة خصبة للمؤرخين،استشهدوا ببعض ابياته لتأكيد بعض الوقائع،وتثبيت بعض الخصائص .[3]

[1] شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، عبد الحليم حنفي ،الهيئة البشرية العامة للكتاب ،1987 ص 373.

[2] شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ، عبد الحليم حنفي ،الهيئة البشرية العامة للكتاب ،1987 ،ص 383.

[3] ديوان مالك بن الريب ، تحقيق د/ نوري حمردي القيسي ، مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية ،مج 5،ج 1، ص67.

الخاتمة

الخاتمة :

إن التمرد الذي عاشه مالك بن الريب و غيره من صعاليك العصر الأموي هو نزعة إنسانية نفسية قد تظهر وتتجلى عند بعض البشر الرافضين لحياة ما هي ضد أفكارهم و أرائهم مخالفة لمعتقداتهم ، أو أنهم حاملين لقضية ما يناهضون من أجلها ويسعون لتحقيقها فيكون التمرد رايتهم ولواؤهم، وانقلاباتهم هي كفاحهم من أجل تحقيق غاياتهم وبناء مملكتهم الخاصة بهم، والموافقة لتطلعاتهم ونظراتهم، ولما كان مالك شاعرا من الشعراء فقد يمكننا الخلوص إلى أن شعر مالك – شعر الصعاليك – يتجلى التمرد فيه في كونه ابتعد عن الأغراض المألوفة المدح والهجاء وانحصر في إعلان تمردهم و التعبير عنه دون السعي للمبالغة في تنميقه وتنقيحه لينال مكانة مرموقة بين كبار قومه ويذيع سيطه في أرجاء المعمورة . فهو شعر الشعور والأحاسيس والتعبيرات النفسية والمحاكاة الحياتية لما يحيط بهم وما يغمرهم من اهات و تنهدات .

فالبيئة التي كانوا يعيشون فيها لم توفر لهم الاستقرار اللازم حتى ينشدوا الأشعار كغيرهم من الشعراء.

إن أشعارهم و شعريتهم وشعورهم اختلف عن أقرانهم وأندادهم ذلك كونها جاءت كخواطر باحت بها خلجاتهم نظرا لما عاشوه وعايشوه من معاناة واضطهدات من مجتمعاتهم وولاة أمورهم فلم ترضى بها نفوسهم ولم تتقبلها عقولهم .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

-لسان العرب ، ابن منظور، دار صادر بيروت ،ط1.

-تاج العروس ، محب الدين الزبيدي ،المطبعة الخيرية بجمالية مصر،ط1، 1986.

-ديوان مالك بن الريب ، تحقيق د/ نوري حمردي القيسي ، مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية ،مج 5،ج 1.

المراجع:

-شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ، عبد الحليم حنفي ،الهيئة البشرية العامة للكتاب ،1987.

-العصبية والدولة (معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي)، د .محمد عابد الجابري ،ط 6، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت،1994.

-سيكولوجية الجنوح ، د- ت ،عيسوي عبد الرحمن ، ، الاسكندرية ، دار المعارف.

-في تاريخ الأدب العربي القديم، الدكتور محمد أبو ربيع، دار فكر للنشر والتوزيع.

-الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول ، حسين عطوان ، دار الجيل بيروت ،ط4، 1997.

-في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي -مواقي عثمان .

-الصعاليك في العصر الأموي أخبارهم وأشعارهم ،محمد رضا مروة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط1990،1.

-محمد نبيل ظريفي .ديوان اللصوص في العصريين الجاهلي والإسلامي ط 1،دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

-

قائمة المجلات والرسائل الجامعية :

-الصعاليك بين الذات وقهر المجتمع(د- نفسية اجتماعية)،د-عريب عيد،مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات،المجلد الثامن عشر،العدد2008.

-الصعاليك بين الذات وقهر المجتع دراسة نفسية واجتماعية مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية .

-نزعة التمرد في شعر الشنفرة حمداوي محمد الصادق مذكرة لنيل شهادة الماستر 2018 جامعة قاصدي مرباح ورقلة.

-ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر .إعداد محمد أحمد العزب إشراف أحمد الشرباصي.رسالة دكتوراه جامعة الأزهر .مصر 1976 .

-ظواهر التمرد في أدبي الرصافي والزهاوي .إعداد سفانة داوود سلوم .رسالة ماجستير.جامعة بغداد .العراق 2007.

-مالك بن الريب ... ضحية الطغيان الأموي محمد طاهر الصغار شبكة النبأ المعلوماتية .6-6-2017. 10:05.

الملخص :

إن الإنسان في أي زمن كان هو جزء من هذه الحياة وبعض من هذه البيئة ، يتفاعل معها وينفعل بها ، فتؤثر فيه وتجعله يبدي أمورا تعبر عن ذاته وعن مكنوناته ، وتعكس شخصيته ونظرته وفكره ، فما يقوم به من ردات فعل ما هو إلا انعكاس لكل ذلك ، وردات الفعل هذه قد تكون مسالمة مستسلمة كما قد تكون مندفعة مهاجمة وهو ما برز لدى الصعاليك و منهم مالك بن الريب ،الذي كانت ردات فعله مناهضة وناقمة مما هو فيه من سلطة متجبرة ظالمة ومن حياة معسرة ضنكة فكان التمرد سبيله وسبيلهم والصعلكة باب من ابوابه التي سلكوها لينهضوا بذواتهم ويسعوا لوجودهم ونجاتهم من الظلم والجوع .

الكلمات المفتاحية : التمرد ؛ الصعلكة ؛ السلطة ؛ مالك بن الريب .

Résumé :

Homme à tout moment, il faisait partie de cette vie et une partie de cet environnement, interagissait avec elle et le faire. Ces réactions peuvent être une esclavage extrême comme ils pourraient être une attaque, comme qu' est émergeait à ceux groupe –saalik– parmi eux MALIK BIN AL–RAYB , qui a révolu l'autorité injustice qu' il l'a vécu.
Ils ont recherché leur présence et leur succès de l'injustice et de la faim.

Mots–clés: révolution; l' autorité ; Malik bin al–rayb, injustice; saalik.

Summary :

Male at all times, he was part of this life and part of this environment, interacting with her and doing it. These reactions can be an extreme slavery as they could be an attack, as it is emerging to those group –saalik– among them MALIK BIN AL–RAYB, which has overtaken the authority injustice that he experienced it.
They sought their presence and their success from injustice and hunger.

Keywords: revolution; authority; Malik bin al–rayb, injustice; saalik.